مراسل اجنبي ورجل اعمال فلسطيني ... ومطار اللد !

دخل فايز البستاني التاريخ حين خرج منه : اي انه دخل الى تاريخ الصحافة الغربية العنصرية في اللحظة التي خرج منها من سياق المواطنية الفلسطينية والعربية ، وهكذا وجد صحافي غربي ، اخيرا ، شخصا يتكيء عليه ليشتم نضال الشعب الفلسطيني ـ غير هيكل ، وغير الملك حسين ، وغير الجعبري !

وصل جيم هوغلاند الى بيروت مؤخرا ، ليراسل جريدة « الواشنطن بوست » ، وهو يرغب في ان يكون مراسلا عادلا ، خاصا بذلك لوهم ليبرالي بعيد المنال : ان رجالا مثله لا يعرفون كيف يقاومون الضغوط ، ربما لانهم في قاع ذلك الهرم الثقيل الذي يسمى اجهزة الاعلام الغربية ، ويأملون ان يصعدوا الى قمته من خلال الانسياق في تياره ، والاستسلام الكلي لارادته ..

وهكذا حقق جيم هوغلاند انتصاره الاول : كتب مقالا لل « هيرالد تريبيون » يوم ٢٦ حزيران الفائت ، عن رجل مجهول اسمه فايز البستاني ، تشاء الصدف ان يموت حزنا على ضحايا عملية مطار اللد ، (لانه ضد هذا النوع من العنف) . وكان فايز البستاني قد صرف الايام الاخيرة من حياته محاولا اقناع ثلاثة مراسلين غربيين لنشر رسالة منه تدين العملية هذه ، شعورا منه بأن هذا هو رأي الغالبية الفلسطينية .. وبعد ذلك طق ومات !

ونحن لا نعرف حقيقة القصة هذه ، وحقيقة وجود او عدم وجود شخص اسمه فايز البستاني ، ولكن المهم في الامر هو ان الصحف الغربية التي كانت غارقة حتى شعرها في ابشع عملية تحريض عنصرية ضد العرب عرفها تاريخ الاعلام الغربي لم تنشر رسائل فايز البستاني لسبب لم يشرحه لنا جيم هوغلاند ، وهكذا توفي الرجل فقها ، قبل ان يزيد في احقاد العالم الغربي على المقاومة حفنة جديدة من العمى !

ان الانجاز الكبير الذي حققه جيم هوغلاند في اولى رسائله من بيروت ، هو انه « اكتشف » ان الفلسطينيين ضد عملية مطار اللد ، الى حد ان فايز البستاني المذكور ، كان يخشى ان يقتله الفدائيون (!) ان هو عبر عن استيائه من العملية ، وهكذا اخذ ينقل في سيارته مدفعا رشاشا ..

ياالله كيف يفقس الخوف رشاشات !

ومع ذلك ، فمن هذا الذي قتل فلسطينيا او عربيا لمجرد انه عبر عن رأيه ، من ؟ ومتى حدث ذلك ؟ بل من الذي قال لمراسل اجنبي « ما احلى الكحل بعيونك » ، رغم كل القذارات والاوحال والاحقاد العنصرية التي اهرقوها فوق رؤوسنا دون لحظة توقف واحدة ؟ وما الذي جعل فايز البستاني ـ وبالتالي جيم هوغلاند ـ يخضعان لهذا الخوف الوهمي الى حد التسلح بالرشاش ، لو لم يكن احدهما على الاقل يشعر بانه « خارج الموضوع » ، وبانه يعتنق رسالة مرفوضة من المجتمع ؟ او يخترع قصة لا اساس لها !

ان فن الاعلام العنصري هو فن شديد التقدم ، خذ مراسل « الاكسبرس » في بيروت ، مثلا ، الذي اكتشف من وراء عملية اللد ان الطائفة الارثوذكسية في البلاد العربية مريضة نفسيا ! وخذ مراسل « النوفيل اوبزرفاتور » الذي اكتشف العنف الهمجي لاول مرة بالتاريخ من خلال عملية اللد .. ولكن جيم هوغلاند كانت له مهمة اخرى ، وهي الاثبات بان عملية اللد كانت مرفوضة من قبل الجماهير الفلسطينية نفسها ، وان هذه الجماهير كانت خاضعة للخوف من التعبير عن رأيها بصدق ، الى ان جاء رجل « شجاع » اسمه فايز البستاني ، بلغت به الشجاعة حد « الاستشهاد » حزنا على الاذى الذي لحق بالاحتلال الاسرائيلي ..!

كيف اكتشف جيم هوغلاند فايز البستاني رغم ان هذا المراسل الاميركي لم يمض على وجوده في بيروت اكثر من ثلاثة اسابيع ؟ وكيف استطاع هوغلاند ان يرى في فايز البستاني « ممثلا » « للعقل » الفلسطيني ؟ كم فلسطينيا وعربيا استطاع هوغلاند ان يعرف اثناء وجوده في بيروت ؟ كم صحيفة قرأ ؟ كم مخيما زار ؟

ورغم ان الاجوبة التي يمكن لهوغلاند ان يضعها لهذه الاسئلة ستكون مضحكة ، الا انه نجح على الاقل في ان يرسل فايز البستاني الى الآخرة ، مع سجل وطني اسود : فهذا الذي ذكره عنه في الجريدة لا يرضي احدا من ابناء الجماهير الفلسطينية والعربية ، اما الغربيون فانهم سيرون فيه حملا وديعا جديدا لا ينتفض حين يساق الى المسلخ ، ولكنه ـ مع ذلك ـ لا يبعث على الاحترام !

***

اننا سنصدق جيم هوغلاند في وصفه لفايز البستاني : انه رجل متوسط العمر ، من حيفا ، كان على مقعد الدراسة هناك حين قام الارهابيون الاسرائيليون بتفجير قنبلة في حسبة حيفا مزقت اجساد مئة من العرب (هوغلاند يضع كلمة ارهابيون اسرائيليون بين قوسين ، من باب الموضوعية وعدم التصديق !) ، ولكن فايز البستاني خرج من حمام الدم هذا منتصرا ، اذ انه مضى الى شاطىء البحر واخذ يقذف الماء بالحجارة من باب فشة الخلق ، وكي لا تتركب عنده احقاد ضد الذين مزقوا اجساد مئة من بني وطنه وهم يشترون خضار الصباح !

وفيما كان فايز البستاني « يقوص » البحر ، كان الاسرائيليون « يقوصون » عرب فلسطين ، ويعجنون اجساد العرب بترابها الدامي ، ويزرعون فيها عشرات من الديرياسينات ..

و « جاء » (كي لا نقول : لجا) ، جاء اذن فايز البستاني الى البلاد العربية ، حيث صار رجل اعمال ناجح ، يتاجر بصناعة مد الانابيب ، ولانه عاقل (وليس لانه وكيل شركات اجنبية) صار معتدلا ، وضد العنف ، وصاحب فلسفة وطنية تستحق الاعجاب ، شعارها ان « على الفلسطينيين ان يمدوا انابيب النفط ، لا ان ينسفوها » ـ وقد توصل فايز البستاني الى هذه الفلسفة ليس من خلال كونه متعهد مد انابيب ، ولكن لانه « انساني » و « يكره العنف » وعنده تصورات خارقة لاساليب نشر السلام ، من خلال تقويص البحر !

هذا هو فايز البستاني ، وهو كما نرى رجل يستحق ، في مقاييس صحافي نشيط مثل هوغلاند ، ان ينتقى كنموذج « للرأي العام الفلسطيني المعتدل » ! وان يكتب عنه مقالا طويلا عريضا يدافع فيه متعهد مد انابيب بترول عن ضرورة عدم نسف انابيب البترول ..!

نحن ، نحن نقول ان سبب السكتة القلبية التي جاءت للمرحوم البستاني هو تأميم النفط في العراق ومصادرة انابيبه في سوريا ، فذلك هو بالضبط ما يؤثر على الدورة الدموية لرجل يعمل في بحيرة البترول ، ولكن طالما ان مشجب القضية الفلسطينية جاهز للاستعمال ، فان هوغلاند مستعد ان يجعل منه شهيد الانسانية المعذبة بدل ان يذهب على حساب التأميمات ، دون فائدة تذكر للحملة العنصرية التي قامت بها صحف الغرب ضد العرب !.

وهكذا صنع هوغلاند (الذي يهمه ان يرضي ناشري صحيفته الذين لا يجدون اي فارق بين كلمتي صهيونية وانسانية) ـ صنع من فايز البستاني جنديا في جيش مطار اللد ، ضد شعبه ، ضد المنطق ، ومع مطامح مراسل الواشنطن بوست !

يقول المراسل على لسان البستاني : « انني من انصار انشاء دولة فلسطينية لا طائفية يكون بوسع الفلسطينيين العودة اليها وبالوسائل العسكرية اذا لزم الامر » !

يجب ان يكون اي عربي قادر على التلفظ بمثل هذه الجملة عضوا في حزب حيروت على الاقل ، اذ من الواضح ان كلمة « انشاء دولة فلسطينية لا طائفية » لا تتعلق بالعرب، فالجملة التي تتبعها هي « .. ويكون بوسع الفلسطينيين العودة اليها » ! اي ان الذي سينشىء هذه الدولة اللاطائفية هو غير الفلسطينيين (لعلها شركة النفط التي يتعهد بمد انابيبها) !.

اما نقطة الثقل في تلك العبارة الذهبية ، فهي جملة : « .. وبالوسائل العسكرية اذا لزم الامر » .

اذا لزم الامر ... اذا لزم الامر !

ان فايز البستاني ما زال اذن يشك بلزوم « الوسائل العسكرية » ، ورغم مضي ٢٥ سنة على نشاطه في تقويص البحر ، فهو يتوقع ان يتمكن الفلسطينيون من العودة الى دولة فلسطينية لا طائفية جاهزة وحسب الطلب ، دون استخدام الوسائل العسكرية !

اذن ان فايز البستاني ليس ضد عملية مطار اللد ، هو ضد « الوسائل العسكرية » اساسا .. مثله مثل كل الصحف الغربية التي اقامت الدنيا ولم تقعدها ، زاعمة انها ضد هذه العملية بالذات ، في حين انها ضد العنف الثوري عموما ، وهي ترى ان عبارة « اذا لزم الامر » لا معنى لها طالما ان قرار مجلس الامن هو ذروة التسامح الاسرائيلي !

اذا كان البستاني طوال ٢٥ سنة ، ما زال يعتبر ان الاسلوب العسكري يستخدم فقط « اذا لزم الامر » ، فمبروك على جيم هوغلاند هذا الاكتشاف ، ونهنؤه لهذا التعمق في استكشاف الرأي العام العربي والفلسطيني ، ونرجوه ان يرشدنا ـ في رسالته التالية من بيروت ـ متى سيلزم الامر ؟

***

لا شك انه يوجد لفايز البستاني عائلة ، اذا لم يكن جيم هوغلاند قد اخترعه من بنات افكاره ..

والواقع ان الصحافيين الغربيين في بيروت ، من « اريك بايس » المراسل السابق لل « نيويورك تايمز » الى « ايفوري جونز » المراسل السابق لاذاعة لندن، مرورا بتسعين بالمئة من المراسلين الاجانب ، لهم ضمير مهني واسع للغاية ، قادر على اختراع المرح والابطال والمخرجين ، في اية لحظة يريد ممول الاعلانات الصهيونية ذلك ـ او تريد عقدة كراهية العرب ...

فاذا كان يوجد لفايز البستاني عائلة ، عاشت في حيفا وذاقت نقطة من دماء العرب الذين تمزقوا وسط حسبة الخضار هناك ، فلينشروا رسالة فايز البستاني ..

لينشروها في اية صحيفة يشاؤون ، اذ لا توجد وثيقة قادرة على إعطاء صورة عن « من يقف ضد ولماذا ؟ » افضل من مثل هذه الرسالة ..

اما اذا كان هوغلاند قد اخترع السيرة كلها ، فاليه تهانينا ، وندعو لضميره المهني بمزيد من الرخاوة !

وطن للبيع !

ISRAELI LAND

Haifa area near the sea—unique opportunity to invest in private land in Israel. Details: Mr. Schlossberg, 588-8338.

Harold G. Katz Realtor

اعلان ظهر في « الواشنطن بوست » في الاسبوع الماضي عن شركة تبيع « الاراضي الاسرائيلية » لمن يرغب بذلك ..!

وهكذا تجد ان بوسع الاميركيين الان ، شراء اوطان خاصة ، من الوطن المنهوب !

بقلم: أ. ف